المحاضرة الرابعة:

المنهج بين العلوم الطبيعية و العلوم الانسانية

الأهداف التدريسية :

- التمهيد لمناهج البحث العلمي في العلوم الانسانية.
- تمكين الطالب من التمييز بين العلوم الطبيعية و العلوم الانسانية و توضيح الحدود الفاصلة بينهما.

المحتويات :

1. مفاهيم أولية
2. نماذج البحث العلمي في العلوم الطبيعية و العلوم الانسانية
3. مواطن الاختلاف بين العلوم الطبيعية و العلوم الانسانية
4. أسئلة للمناقشة

لا يمكن الحديث عن منهج موحد لكل العلوم ، فهذه الأخيرة تتمايز عن بعضها البعض بموضوعاتها و هذا ما يجعلها تختلف في مناهجها، فلكل علم منهاجه الخاص الذي تفرضه طبيعة الظواهر التي يدرسها.

تختلف العلوم الطبيعية عن العلوم الانسانية موضوعا و منهجا ، و يمكن رصد أبرز جوانب الاختلاف بينهما من خلال تعريفهما أولا و تبيان مواطن الاختلاف الأساسية بينهما ثانيا

1. **مفاهيم أولية :** يمكن البدء بالتمييز بين العلوم الطبيعية و العلوم الانسانية من خلال تحديد مفهوم كل منهما

1.1. العلوم الطبيعية : هي "العلوم التي تتخذ من المجالات الفيزيائية و الحيوية موضوعا للدراسة (انجرس: 2004،ص58)

1.2. **العلوم الانسانية :** هي العلوم التي تتخذ من الانسان و سلوكياته موضوعا للدراسة. حيث أطلق مصطلح العلوم الانسانية على العلوم التي ارتبط موضوعها بالإنسان أي التي تهتم بدراسة الجوانب النفسية للأفراد و أنماطهم السلوكية و تجمعاتهم البشرية و مختلف المؤسسات الاجتماعية التي ينشئونها ،موضوع بحث "فهي علوم تدرس فعاليات الانسان المختلفة الجوانب و تسعى إلى ضبط طبيعتها و تحديد عناصرها و تجليات دلالاتها و مقاصدها المختلفة"(الأخرس و القهوجي،2014،ص226)

2. **نماذج البحث العلمي في العلوم الطبيعية و العلوم الانسانية :**

2.1. **نموذج البحث العلمي في العلوم الطبيعية :** يعتبر بحث الظاهرة الطبيعية قديم تاريخيا قدم الفكر الانساني ذاته ، اذ تكشف الدراسات التاريخية سعي الانسان لتحقيق المعرفة في الطب و الفلك في الحضارات الشرقية القديمة و العصر اليوناني و العصور الوسطى. غير أن بحث الظاهرة الطبيعية عرف أبرز معالم تقدمه حين أرسى Francis Bacon قواعد الدراسة العلمية القائمة على التجريب ، حيث يجمع العلماء و فلاسفة العلم أن الفضل في نشأة القوانين العلمية التي أتاحت لنا تحقيق المعرفة حول الطبيعة يعود إلى المنهج العلمي المُعتمد في دراسة الظاهرة الطبيعية ، و هو المنهج التجريبي الذي ينطلق بالملاحظة العلمية للظاهرة الطبيعية محل البحث ، ثم ينتقل إلى صياغة الفرضيات التي تعتبر تفسيرا علميا أوليا يضعه الباحث ثم يسعى إلى التحقق منه تجريبيا ليؤكده أو يفنده في نهاية بحثه، ثم تأتي مرحلة التجريب التي يقوم الباحث في إطارها بوضع الظاهرة في ظروف يمكن التحكم بها "وبناء على عدد من التجارب تتكون لدينا مجموعة من القوانين الجزئية التي تبدو مستقلة عن بعضها البعض ، و هي التي تمهد لنا الطريق للحصول على قانون عام" (ابراهيم،1999،ص181) مع ضرورة التأكيد على أهمية توفر الشروط المنهجية الأساسية للمنهج التجريبي.

2.2. **نموذج البحث العلمي في العلوم الانسانية :** تظم العلوم الانسانية المجالات التي تهتم بدراسة السلوك الانساني و عليه فإن السلوك الصادر عن الانسان يمثل موضع العلوم الانسانية بكل فروعها في علم النفس و علم الاجتماع و علم الاتصال و الأنثروبولوجيا و التاريخ و الإدارة و السياسة و ...الخ . و عليه يتجلى موضوع العلوم الانسانية في السلوك الانساني بقدر ما يجسده هذا الأخير من مشاعر و أفكار و تأملات و مدركات و بناءات و أنظمة و قواعد و قوانين ... و كل ما يجعل لحياة الانسان معنى " و لهذا فإن العلوم الانسانية تعالج وقائع ذات معنى"(ريكمان،1979،ت المعطي،ص107).

يؤكد الكثير من الباحثين أن ظهور العلوم الانسانية يمثل نتيجة حتمية للتطور الذي عرفته العلوم الطبيعية .و الواقع أن دراسة الانسان قديم قدم دراسة الطبيعة ، غير أن بروزها كعلم ارتبط باستقلالها عن الطرح الفلسفي الميتافيزيقي، و انبعاثها من جديد على أسس وضعية، و هو ما شكل ،من جهة أخرى، بداية لما أصبح

يُعرف لاحقا بأزمة العلوم الانسانية و التي يمكن تلخيصها بين اتجاهين وضعي سعى لرد "الروح الى المادة" و أسس لتكميم السلوك الانساني. و اتجاه تأويلي يعتقد بخصوصية موضوع العلوم الانسانية و بالتالي خصوصية المناهج المعتمدة في دراسته.

3. مواطن الاختلاف بين العلوم الطبيعية و العلوم الانسانية :

يمكن توزيع مواطن الاختلاف بين العلوم الطبيعية و العلوم الانسانية ،على تعددها، في ثلاث جوانب رئيسية هي :

3.1. طريقة عمل كل منهما: تختلف طريقة عمل العلوم الطبيعية عن العلوم الانسانية ، و يظهر جوهر الاختلاف في هذا المستوى في كون الأولى تتعامل مع مواضيع مادية: فهي تحاول اكتشاف العلاقات بين الظواهر أو العناصر المادية، تستعمل لملاحظتها أدوات متطورة "إن بعض هذه الأدوات مثل المجهر يساعد في تبسيط معاني هذه الأشياء ومكوناتها، وتّمكن الملاحظ من رؤية أدق حتى لأصغر الأجسام التي تتركب منها، والتي يستحيل علينا رؤيتها بالعين المجردة، كما يسمح لنا جهاز الأوديومتر (Audiomètre) بقياس الأصوات التي يتعذر علينا سماعها في الحالات العادية." (انجرس: 2004،ص59) تُمكن هذه الأدوات العلوم الطبيعة من تنمية تجاربها وتطويرها، وذلك بالعودة الدائمة إلى التجربة والرجوع إلى المخبر الذي يتيح للباحث خلق شروط إنتاج هذه الظاهرة ومعالجة عناصرها، هكذا تصبح المادة والأداة والتجربة عناصر يتغذى منها نموذج البحث في علوم الطبيعة.

للعلوم الإنسانية طريقة عملها التي تستمد تفردها من طبيعة موضوعها ، فهي تهتم بدراسة كائنات بشرية، و عليه فإن القضية هنا تختلف عما هي عليه في علوم الطبيعة، "ذلك أننا هنا نتعامل مع كائن يتحدث، يتجاوب ويتفاعل مع أمثاله، ويمتلك وعيا ومقدرة على التعلم والفهم" (انجرس: 2004،ص59) لهذا فالتعامل مع موضوع البحث يكون مختلفا .إذ ترتبط امكانية تطبيق المنهج التجريبي بجملة من المحاذير المنهجية و الاعتبارات الانسانية المتعلقة بكيفية و إمكانية اخضاع الانسان و ما يصدر عنه من سلوكيات للتجربة . و نشير هنا الى التيار الفكري الذي يرفض نهائيا تطبيق التجربة لدراسة الظاهرة الانسانية و يقترح ، عوضا على ذلك، مناهج تستمد اجراءاتها من خصوصية الظاهرة الانسانية.

3.2. علاقة الباحث بموضوع البحث بين العلوم الطبيعية و العلوم الانسانية : إذا كانت الظاهرة الطبيعية ، التي توصف بأنها خارجية و مادية، منفصلة عن الباحث في العلوم الطبيعية . فإن الظاهرة الانسانية غير منفصلة فالباحث في العلوم الانسانية من نفس طبيعة المبحوث و هو ما يطرح عدة اشكالات تتعلق بالذاتية و القيمة و الاديولوجيا " ففي الذاتية يتقوم موقف الباحث من موضوع دراسته بوصفه فردا و

شخصا معينا، بينما يتحدد موقفه من القيمة بوصفه ملتزما بمعايير جماعية و مجتمعية، على حين يتعين موقفه في الاديولوجيا بوصفه متوحدا بجماعته متقمصا لمجتمعه"(قنصوة،دت،ص58)

3.3. موضوع البحث بين العلوم الطبيعية و العلوم الانسانية : للتمييز بين العلوم الطبيعة والعلوم الإنسانية نستعرض أبرز خصائص موضوعيهما ، و أول هذه الخصائص هي أن الانسان موضوع بحث العلوم الانسانية يشعر بوجوده؛ في حين يظهر أن الموضوع (أو الكائن) المادي لا يدرك ولا يشعر بوجوده الخاص، إضافة إلى ذلك لا يستسلم الانسان بالضرورة لمن يقوم بدراسته، إنه يقوم بتعديل الوضع من تلقاء نفسه أثناء الدراسة.

كما يُعطي الانسان معنى للوقائع و الأحداث و الأشياء المحيط به، بعبارة أخرى إنه يؤول وجوده، و هو ما يختلف تماما فيما يخص الكائن المادي أو الطبيعي .

يضاف إلى ذلك لا يتماثل الأفراد، فكل شخص فريد من نوعه، تركيبته النفسية ،خصائصه الفيزيولوجية ، تجربته في الحياة، إضافة إلى كل العوامل التي يمكن أن تتدخل في سلوك الانسان وتصرفاته، وهذا ما يُكسب ملاحظة هذه العوامل صعوبة كبيرة خاصة إذا ما قورنت بملاحظة كائن مادي ، يمكن إخضاعه للملاحظة بكل سهولة ، بل و إعادة إنتاج وتكرار التجربة كلما دعت الضرورة إلى ذلك لأن مكونات الموضوع ستظل هي نفسها.

يُعتبر موضوع العلوم الإنسانية أكثر تعقيدا من موضوع العلوم الطبيعية، فإن كان من الممكن أن يخضع الكائن البشري للقياس، فقياس أفعاله وتصرفاته ليس أمرا سهلا، كما هو حال الكائن المادي في علوم الطبيعة.

أيضا، لا تسمح الكثير من الموضوعات في العلوم الإنسانية بدراسة العلل أو المسببات، فقد تتداخل عدة ظواهر؛ مما يجعل من الصعب بما كان مراقبة الظواهر وعزل الأسباب و التمييز بين ما يمكن أن تؤدي إليه من نتائج "في حين أن الأمر في علوم الطبيعة، وبفضل التجربة، منتشرا إلى حد كبير، ولهذا يمكننا إثارة ومراقبة الوضعيات التي تسمح لنا بدراسة الآثار التي تحدثها ظاهرة ما في ظاهرة أخرى"(انجرس: 2004،ص62).

وللمقارنة بين خصوصيات الموضوع في العلوم الإنسانية وخصوصياته في علوم الطبيعة أنظر الشكل رقم (1):

الشكل رقم (1) : موضوع البحث بين العلوم الطبيعية و العلوم الانسانية

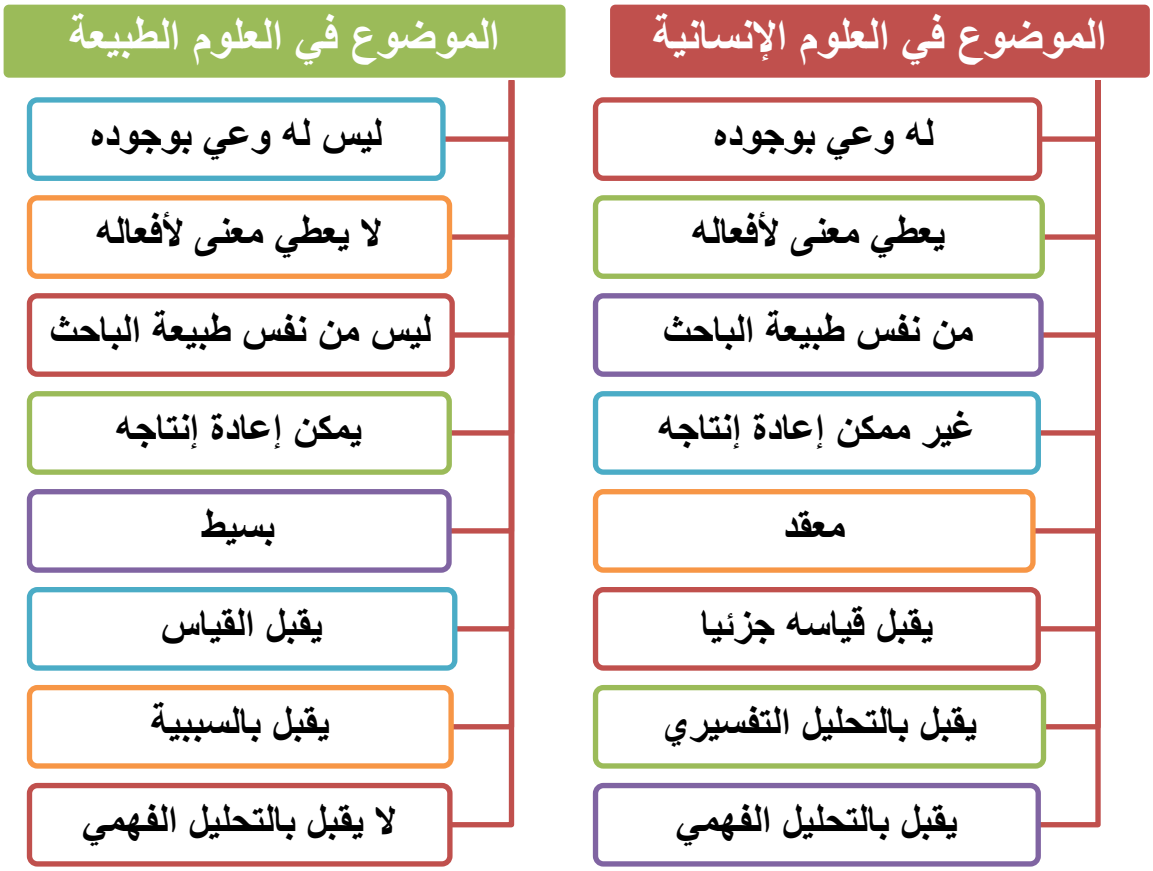

تجدر الاشارة في خاتمة هذه المحاضرة التذكير بأن العلوم الإنسانية قد سعت إلى تجاوز هذه الصعوبات من خلال مناهج تعكس خصوصيتها وتسهل فهم ظواهرها تأويل المعاني التي يعطيها الأفراد لسلوكياتهم ، و هو ما سنتطرق إليه في المحاضرات المقبلة (المناهج الكمية و المناهج الكيفية في العلوم الانسانية)

أسئلة للمناقشة :

- استخلص مواطن الاختلاف بين العلوم الطبيعية و العلوم الانسانية بعد تعريف كل منهما .
- لكل من العلوم الطبيعية و العلوم الانسانية نموذج بحث مختلف . اشرح ذلك